معهد الميراث النبوي

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الثَّامِنُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنْ الحَمَدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيْئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَنْ يُضِّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمْدا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ.

أَلاَ وَإِنْ أَصْدَقَ الْكَلاَم كَلاَمُ اللهِ وَخَيْرِ الهَدْيَّ هَدْيُّ مُحَمَّدٍ وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد توقّفنا عند قول المصنّف -رحمه الله تعالى- شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب في الأصول الثّلاثة لمّا ذكر أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مكث في مكّة يدعو إلى التّوحيد ثلاثة عشر سنة ثمّ هاجر إلى المدينة، فقال الشّيخ -رحمه الله تعالى-:

«والهجرة الإنتقال من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام والهجرة فريضة على هذه الأمّة من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم السّاعة والدّليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾قال البغوي –رحمه الله تعالى–: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الّذين في مكّة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان. والدّليل على الهجرة من السّنّة قوله –صلّى الله عليه وسلّم– «لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التّوبة، ولا تنقطع التّوبة حتّى تطلع الشّمس من مغربها».

في هذه الجمل من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– تنبيه على مسألة مهّمة وهي أنّ **المسلم لا ينوي الإقامة الأبديّة بين ظهرانِي الكفّار أو المشركين، وإنّما ينوي قضاء حاجته من تجارة أو تعليم أو سفر أو نحو ذلك ثم يعود إلى بلده.**

والمدّة التّي يمكثها في بلاد الكفر ولو طالت إذا لم ينو الإقامة الأبديّة فلا يدخل في التّحريم وفي الذّم المذكور في هذه الأدلّة.

وعلى المسلم أن يسعى إلى الانتقال إلى بلاد الإسلام، وإذا أقام في بلاد الكفر لمدّة معينة عليه أن يحافظ على شعائر دينه، وعلى تعليم أولاده، وعلى أن يبثّ الرّوح الإسلاميّة وشعائر هذا الدّين بين أهله وأولاده، فلو أقام في بلاد الكفر مدّة طويلة لتجارة أو تعليم أو لأمر آخر فإنّه لا يدخل في هذا الذّمّ.

والمسلم بعد أن يعلم حكم تحريم الإقامة في بلاد الكفر فلو استطاع أن ينتقل إلى بلده بلا ضرر وبلا أذى فليفعل ذلك وإن كان الإنتقال إلى بلاده يكون فيه عليه ضرر أو خسارة أو لا يستطيع أن ينتقل إلى بلده بسبب عدم توفر الأوراق

الرّسمية أو عدم توفّر الأمور فحينها يُقال له ابذل جهدك واسعى في تيسير أمورك للانتقال من بلاد الكفر.

فإذا يجب أن نتنبّه لهذا الأمر:

أوّلا: الذّي يحرم هو الإقامة الأبديّة أن تنوي الإقامة في بلد الكفر ولا تنوي الرّجوع إلى بلدك.

ثانيا: أنّ الجلوس في بلاد الكفر لقضاء غرض من تعليم أو تجارة أو نحو ذلك مع توفّر الشّروط الشّرعيّة؛ من إقامة الدّين وعدم الفتنة وعدم هذه الأمور كلّها، أنّه لا يدخل إن شاء الله في الإثم بإذن الله.

ثالثا: أنّه لا يُقال للمسلم بعد علمه بهذا الحكم وقد يكون سابقا قد نوى الإقامة، لا يُقال له انتقل الآن في غمضة عين أو بين يوم وليلة، بل يُقال انظر إلى أمورك وانظر إلى شأنك واستعد للانتقال إلى بلاد الإسلام، فإن تيسّر لك هذا في عجل وفي سرعة فالحمد لله، وإن لم يتيسّر لك هذا وتحتاج إلى وقت يعني للاستعداد ماديّا ولإعداد الأوراق ونحو ذلك فحينها انتقل عندما تتيسّر لك الأمور.

وإنّ من الأمور الغريبة التّي قد انتشرت بين المسلمين في بلاد الغرب هناك يعني فتاوى تدعوا إلى أنّه لابدّ أن تُهاجر الآن الآن، وهذا خطأ؛ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فمَن تيسّر له الانتقال نقول له انتقل، الآن ومن كان الانتقال بالنّسبة له يضرّ الآن ويحتاج إلى وقت جمع مال وتخلّص من أوراق

وإعداد أوراق رسميّة ونحو ذلك، فحينها نقول له مادمت لا تنوي الإقامة الأبديّة، ومادمت تنوي الرّجوع إلى بلاد الإسلام فلك من الوقت ما تحتاجه بإذن الله تعالى للانتقال إلى بلدك، سواء شهر أسبوع سنة أو أكثر... أهمّ شيء أن لا تنوي الإقامة، وأهمّ شيء أن تسعى للانتقال إلى بلاد الإسلام، وأهمّ شيء أن تمارس شعائر دينك وأن تجتنب الفتن.

فإذًا قول المصنّف -رحمه الله تعالى-: «والهجرة الانتقال من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام هذا الانتقال سيأتي إن شاء الله لأنّه فريضة».

لماذا؟

لأنّ المسلم لا يجوز له أن ينوي الإقامة الأبديّة في بلاد الكفر أو الشّرك لقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: «لا تتراءى نار مسلم، ونار مشرك» أو كما قال عليه الصّلاة والسّلام.

قال الشّيخ -رحمه الله تعالى-: «الانتقال من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام والهجرة فريضة».

أي واجبة على هذه الأمّة من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام؛ فلا ينوي المسلم الإقامة في بلاد الكفر، فلا ينوي المسلم الإقامة الأبديّة، أمّا أن ينوي الإقامة لوقت تتيسّر فيه أموره أو لتجارة أو نحو ذلك، كدعوة إلى الإسلام وإلى السّنّة النّبويّة فلا مانع من ذلك، ولو طالت المدّة مادام أنّ النّيّة في ذلك عدم الإقامة الأبديّة، ونعني بالإقامة الأبديّة أن ينوي الإقامة في بلاد الكفر إلى أن يموت، ولا

يُفكّر أن يرجع إلى بلاد الإسلام إلّا من باب زيارة الأهل والأقارب فلا شكّ أنّ هذا محرّم؛ للأدلّة ولكن الإقامة لتجارة أو تعليم أو دعوة أو نحو ذلك فلا مانع منها.

وكذا من كان ناويا الإقامة الأبديّة ثمّ علم الحكم لا نقول له انتقل بين يوم وليلة ولكن انظر إلى ما يتيسّر معك وما يكون لك فيه سعة في أمرك ثمّ انتقل بعد ذلك ولا تنوي الإقامة الأبديّة.

إذًا قال الشّيخ –رحمه الله تعالى–: «وهي باقية –أي الهجرة – إلى أن تقوم السّاعة يعني لا تسقط لا يجوز لمسلم أن يسكن في بلاد الكفر بنيّة الإقامة الأبديّة».

قال: «والدّليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾».

يعني هؤلاء الذّين ظلموا أنفسهم، وهم أناس من أهل مكّة أسلموا أو تكلّموا بالإسلام ولم يهاجروا فتوفّتهم الملائكة حال كونهم ظالمي أنفسهم، كيف ظلموا أنفسهم؟!!

لم يهاجروا ولم ينووا الهجرة من بلاد الشّرك بل ظلّوا في بلاد الكفر فتقول لهم الملائكة موبّخة لحالهم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ لماذا فعلتهم هذا الأمر؟ لماذا لم تهاجروا؟ فيكون جوابهم بأنّنا كنّا مستضعفين في الأرض، يعني ما عندنا قدرة، نعجز عن الهجرة ولا تتوفّر لنا الأمور.

لكن هل هذه الأسباب حين ذكروها كانوا صادقين فيها؟ قال أهل التّفسير لم يكونوا صادقين فيها، بل هي مجرّد أعذار واهية لا حقيقة لها، فلم يكونوا مستضعفين، وكانت عندهم القدرة على الهجرة فلم يهاجروا.

لذلك مرّ معنا في التّنبيه السّابق أنّ هذه الهجرة إنّما تكون بلا ضرر وهذه الهجرة لمن نوى الإقامة الأبديّة، أمّا من نوى الإقامة لمدّة ثمّ يرجع فلا يدخل في هذه الأدلّة لذلك تقول الملائكة لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ فهذا عتاب لهم، و هذا استفهام المراد به أن يعترفوا أنّ أرض الله واسعة و لم يهاجروا لذلك تُوُعِّدوا بالعقاب فأولئك مأواهم جهنّم و ساءت مصيرا؛ أي أنّ هؤلاء الذّين لم يهاجروا لا عذر لهم فأخبر الله -عزّ و جلّ- بأنّ مأواهم جهنّم و ساءت مصيرا، أي أنّ جهنّم هي بئس المصير وتُوعّد مَن ترك الهجرة -مع قدرته- توعّد بهذا العقاب، **فترك الهجرة لَمَن كان قادرا عليها كبيرة من كبائر الذّنوب.**

فترك الهجرة لمن كان قادراً عليها كبيرة من كبائر الذنوب، ولكن كما سبق ترك الهجرة لمن كان ناوياً الإقامة الأبدية؛ أما من كان مقيماً لقضاء حاجة، ولإتمام أمر؛ كالتعليم، أو تجارة، أو دعوة، أو نحو ذلك؛ فإنه لا يدخل في هذه النصوص؛ لأن هذه النصوص في ذنب من أقام إقامةً أبدية؛ لا ينوي الرجوع إلى بلاد الإسلام، أو لا ينوي الانتقال إلى بلاد الإسلام .

لذلك ذكر الله – عز وجل – من يعذرون فقال: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ يعني: الذين هم فيهم عجزٌ عن الانتقال سواءٌ كانوا رجالاً، أو نساءً، أو ولدانا؛

يعني صغاراً من الأبناء، والبنات لا يستطيعون حيلة؛ يعني لا يستطيعون الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، لعدم النفقة، أو لعدم القدرة والقوة، أو نحو ذلك ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ يعني: لا يعرفون كيف يخرجون من بلاد الكفر ويصلون إلى بلاد الإسلام ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ يعني: من كان مستضعفاً حقاً، ولا يستطيع الانتقال حقاً؛ فإن الله – عز وجل – وعده بالعفو عنه؛ عن هذا الأمر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾؛ أي أن الله – عز وجل –متصف – سبحانه وتعالى – بالعفو والتجاوز عن السيئات، وأنه –سبحانه وتعالى –غفوراً أي: كثير المغفرة للذنوب والزلات.

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى– (نزلت هذه الآية عامةً في كل من أقام بين ظهراني المشركين)؛ وقوله في كل من أقام أي: أقام إقامة أبدية، لأن بعض الناس يفهمون خطأ؛ أن كل من سكن في بلاد الكفر متوعد بهذا العذاب، وأنهُ يجب أن يهاجر حالاً حالاً، وهذا خطأ؛ وإنما الأدلة أتت في من نوى الإقامة الأبدية؛ قال: وهو قادرٌ على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالمٌ لنفسه، مرتكباً حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية انتهى.

قال الشيخ – رحمه الله تعالى – وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾.

هذا نداءٌ من الله – عز وجل – للمؤمنين الموحدين لله – عز وجل –؛ الذين ءامنوا بالله رباً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وبهذا الإسلام ديناً؛

ولكنهم مقيمون في ديار الكفر لم يهاجروا؛ فالله – عز وجل – خاطبهم بهذا الخطاب ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ **فليست الإقامة في ديار الكفر كفراً؛ إنما هي كبيرة من كبائر الذنوب،** ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾، يعني: أنا خلقتكم وأوجدتكم في هذه الأرض، فأنتم في بلاد الكفر فأرض الله واسعة؛ في أي مكان انتقلوا إن تيسر لكم، ولا تقيموا في بلاد الكفر إقامة أبدية؛ لما في ذلك من ضرر عليكم في دينكم، ودنياكم ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ أي: أظهروا لي العبادة في أرضي الواسعة.

«قال البغوي –رحمه الله تعالى–: «سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين كانوا بمكة لم يُهاجرُوا، ناداهم باسم الإيمان»

بمعنى: أنهم مؤمنون فناداهم باسم الإيمان؛ فأفاد أن **تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر لكنه عاص، مؤمن ناقص الإيمان.**

ثم قال الشيخ –رحمه الله تعالى –: «والدليل على الهجرة من السنة قوله – صلى الله عليه وسلم–: «لا تنقطع الهجرةُ حتى تنقطع التوبةُ».

فهذا دليل من السنة على استمرار الهجرة؛ وأما قوله –صلى الله عليه وسلم–: «لا هجرة بعد الفتح»؛ أي: لا هجرة من مكة، ومن دار الإسلام بعد فتح مكة، وأما الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فهي مستمرة.

ولذلك قال عليه صلى الله عليه وسلم: «لا تنقطع الهجرة»؛ وهذا دليل على أن الهجرة مفروضة وواجبة؛ وجوب الهجرة لا يسقط لمن كان مستطيعاً؛ فلا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة؛ يعني: حتى يأتي وقتٌ لا تقبل فيه توبة التائب؛

فإذا جاء ذلك الوقت؛ وهو إذا طلعت الشمس من مغربها؛ فحينها لا ينفع انتقال المسلم الذي أقام في بلاد الكفر إقامةً أبدية بعد طلوع الشمس من مغربها لا تنفعه هجرته.

لماذا؟

لأن التوبة حينها قد انقطعت؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»؛ فالتوبة مقبولة من العبد إذا انتقل من بلاد الكفر قبل طلوع الشمس من مغربها.

وهذه الهجرة واجبة، كما بين هذا العلماء.

فالمسلم يسعى بكل جهده و استطاعته للانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ولا ينوي الإقامة هناك، والانتقال إلى بلاد الإسلام هنا أيضا ننبه على قضية وهي أن بعض المسلمين - هدانا الله و إياهم -للصواب قد يقولوا إني في بلاد الكفر مرتاح ولا يضيق علي وأما في بلاد المسلمين فهناك بعض الأمور التي تضايقني فلذلك أنا لا أنوي الرجوع إلى بلاد المسلمين.

فنقول لهؤلاء:

أولا: اعلموا أن الهجرة واجبة، لا يجوز لك أن تنوي الإقامة الأبدية في بلاد الكفر.

ثانيا: أن نقول لك يا أخي إن بلاد المسلمين على كل ما فيها من تضييق في نظرك أو سوء معاملة في نظرك، فإن هذه أمور أهون من الشرك والكفر الذي في بلاد الكفر.

ثالثا: أنت تعلم الإسلام وتعلم شيء منه ولكن أبنائك ومن بعدهم قد يتطبعون بطباع أهل الكفر، بل وقد يتدينون بدينهم فينتقلون من الإسلام إلى الكفر و أنت لا تدري فلا شك أن هذه شبهة شيطانية.

عليك أن تنوي الرجوع إلى بلاد المسلمين وأن تربي أبنائك وأجيالك على الإسلام في بلاد المسلمين، فإن الدنيا زائلة وفانية والعبد يعلق قلبه بالله – عز وجل – ويعلق نفسه بالآخرة فإن الحياة الآخرة لهي الحيوان؛ أي لهي دار الحياة الحقيقية هذا معنى الحيوان أي دار الحياة الحقيقة، أما الدنيا فيها المنغصات لا النعم لا تدوم فيها المرض فيها الحوادث والمصائب، الإنسان ما يأمن الدنيا زائلة، فلا تتعلق بها، ولا تظن أن أهل الكفر وأهل الشرك هم خير لك من المسلمين، فإنهم يخدعوك وهم على فتنتك وتغيير دينك هم حريصون بلا شك.

فاحذر يا عبد الله من هذه الشبهة، فلا تنوي الإقامة في بلاد الكفر وانوِ الرجوع إلى بلاد المسلمين على قدر استطاعتك لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وإن شاء الله ما دمت ناويا للخير وما دمت ناويا لطاعة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الأمر، فأبشر بالخير والتوفيق من الله، فإن الله – عز وجل – كما دلت النصوص الشرعية يعين العبد على مراده في فعل الطاعة بإذن الله تعالى.

قال الشيخ -رحمه الله تعال-: «»فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والآذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما هاجر من مكة إلى المدينة وانتشر التوحيد ودخل الناس في هذا الدين أفواجا فعند انتقاله من مكة إلى المدينة واستقر بالمدينة أمره الله - عز وجل - ببقية شرائع الإسلام».

الزكاة فرضت في مكة -ولكن أنصبتها ومقاديرها وما يتعلق بها في المدينة-، وكذا الصوم، والحج، والآذان، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين في مكة؛ أي يُقيم الأحكام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويؤدي هذه الواجبات والأحكام في المدينة؛ حينما استقر في المدينة.

وفي مكة كان يركز -عليه الصلاة والسلام- على التوحيد، وكما سبق أن النبي -صلى الله عليه وسلم- منذ أن بُعث إلى أن لقي ربه كان يقرر التوحيد، ولما يُقال أنه في مكة ثلاثة عشر سنة يدعو إلى التوحيد، وفي المدينة عشر سنين إلى الأحكام والشرائع؛ فنقول إن في مكة كان هناك الكفار فكان يحاججهم بالتوحيد، أما المدينة هناك أهل الإسلام ولكن مع إسلامهم إلا أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يأمر بالتوحيد ويحذر من الشرك، وحديث أبي واقد الليثي حينما ذكر أنهم كانوا حدثاء عهد بإسلام فطلبوا من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يجعل لهم ذات أنواط فقال -صلى الله عليه وسلم-: «الله أكبر لقد قلتم كما قال بنوا

إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة»، فعلمهم –صلى الله عليه وسلم – التوحيد وعلمهم أن طلبهم ولو لم يكونوا ينوون الشرك إلا أن طلبهم هذا خطأ، فأنكر عليهم –صلى الله عليه وسلم– وهذا بالمدينة بعد هجرته من مكة .

وكذا أيضا كما مر معنا مرارا وتكرارا قوله –صلى الله عليه وسلم–: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وهذا قبل موته – عليه الصلاة والسلام –.

قال: «أخذ على هذا عشر سنين و توفي – صلوات الله وسلامه عليه – ودينه باق»

توفي – صلى الله عليه وسلم –بعد أن بلَّغ هذا الدين بلاغا تاما كاملا لا نقص فيه، وكان – صلى الله عليه وسلم – يقول في حجة الوداع: «ألا هل بلغت اللهم فاشهد» ويكرر هذا – عليه الصلاة والسلام –، فما مات – عليه الصلاة والسلام – إلا وقد بلغ جميع ما أمره الله –عز وجل – به والله –عز وجل –كما قال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ودينه –صلى الله عليه وسلم– دين باق».

لماذا؟

لأنه آخر الأنبياء –عليه الصلاة والسلام– والرسل فلا نبي بعده ولا رسول و«العلماء ورثة الانبياء» يسوسون الناس ويهدونهم إلى الحق.

ولكن العلماء –كما مر معنا سابقا– هم علماء الحق، هم العلماء الذين يعلمون ويعملون على تقوى ونور من الله بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

فدينه –صلى الله عليه وسلم– باق؛ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم»؛ وهذا بخلاف الأديان السابقة، فهي ليست باقية؛ لأنها منسوخة، والأنبياء فيما سبق يرسلون إلى أقوامهم خاصة، والنبي –صلى الله عليه وسلم–أرسل إلى الناس كافة، إلى الناس وإلى الجن أرسل إلى الثَّقلين –صلى الله عليه وسلم–، فدينه باقٍ إلى أن يشاء الله –عز وجل –؛ «يرفعه من الأرض حتى لا يعرف الناس من دينهم إلا كلمة الله الله ثم تقوم الساعة على شرار الخلق».

يقول الشيخ –رحمه الله تعالى–: «وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها عنه فأكمل الله له الدين فالنبي –صلى الله عليه وسلم– لم يقصر؛ فالخير كل الخير فيما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم– والشر كل الشر فيما خالف أمره –صلى الله عليه وسلم –».

وفي الحديث عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم –يعني يخوفهم– شر ما يعلمه لهم»، وكان أبو الدرداء وغيره من الصحابة يقولون: ما مات النبي –صلى الله عليه وسلم– وما من طائر يقلب جناحيه إلا وذكر لنا منه علما».

وأيضا كان الصحابة يقولون إن النبي –صلى الله عليه وسلم– دلنا على خير ما يعلمه وحذرنا من شر ما يعلمه في آثار عن الصحابة في ذلك.

قال الشيخ –رحمه الله تعالى–: «ولا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها عنه فأكمل الله له الدين».

هذا من الشيخ –رحمه الله تعالى– بيان بديع وفيه فائدة عظيمة ورد لشبهة وعمل باطل، ما هو؟

هو رد للبدع والضلالات والمحدثات فديننا كامل لسنا بحاجة إلى زيادة، أنت يا من تأتي بتلك البدعة وتتقرب بها إلى الله ألا تكتفي بما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم–.

هل طبقت ماجاء به النبي –صلى الله عليه وسلم –؟

وبقي عندك وقت أو بقي عندك فراغ للعمل فتحدث وتبتدع بدعة جديدة؛ إن هذه البدع والمحدثات هي من الشر وهي من الأمور التي حذرنا منها النبي –صلى الله عليه وسلم –فقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يكثر من قول فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى –الطريقة والدين– وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها –كل أمر مخترع جديد– محدث جديد هو من شر الأمور.

قد يقول قائل هذا أمر جديد ولكن فيه خير للناس نقول لا اسمع إلى ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة»، **النبي- صلى الله عليه وسلم- حكم على المحدثات -على جميع المحدثات- بأنّها بدع**، قد يقول قائل: هذه البدعة الناس يحتاجون إليها، نقول له اسمع إلى ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: «وكل بدعة ضلالة»، ما في بدعة فيها خير أبدا، لا خير في البدع، بل البدع انحراف وضلال عن الصراط المستقيم، وأنا أقول لك قولا يا عبد الله وأقول لك قولا يا أمة الله:

اعلموا جميعا -بارك الله فيكم- أننا إذا فعلنا وطبقنا ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- من خير؛ كان له -صلى الله عليه وسلم - من الأجر مثل أجورنا، و إذا فعلنا البدعة و اشتغلنا بالبدع:

فإننا **أولاً**: لا نؤجر بل نأثم.

ثانياً: لا يصل للنبي -صلى الله عليه و سلم- أي أجرٍ من هذه البدع.

و لذلك يقول ابن القيم الجوزية: «إن أهل البدع قُطّاع طريقٍ من وصول الأجر و الثواب» إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإذا كُنَّا نُحب النبي -صلى الله عليه و سلم- هل نفعل البدع؟!! هل نقع في البدع؟!! لا، **إذا كنا نحب النبي -صلى الله عليه و سلم- نتبع سنته و نتبع هديه**، ليصل للنبي -صلى الله عليه وسلم- جميع أجورنا و جميع الثواب الذي نعمله حين نطبق سنته -صلى الله عليه و سلم-.

لذلك الشيخ رحمه الله تعالى قال لنا: «لا خير إلا دلَّ الأمة عليه»؛ و لكن من يقول هناك أمور بدع و محدثات فيها خير و فيها نفع للأمة، نقول لا، لا نفع في البدع و المحدثات.

«ولا شر إلا حذرها منه»؛ فإنّ المحدثات كلها من البدع و الضلالات، يقول -صلى الله عليه و سلم-: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

لماذا، لماذا نقول برد البدع كلها؟!! كما سبق.

ثم قال الشيخ: «فأكمل الله به الدين».

لأننا نقول بأن الدين كامل، و لذلك الإمام مالك رحمه الله تعالى إمام دار الهجرة ماذا يقول؟

يقول: (من ابتدع بدعة فقد اتهم النبي -صلى الله عليه و سلم- بالخيانة) بخيانة ماذا؟! بأنه لم يُبَلِّغ كل الدين، و حاشاه -صلى الله عليه و سلم- من الخيانة، فقد أكمل جميع الدين و أخبر به -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم-، و إنما ذلك الشيطان و هوى النفس و الانحراف عن الحق.

و لذلك عباد الله، و يا إماء الله احذروا، احذروا، احذروا من البدع و محدثات الأمور، و الزموا سنة نبيكم -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم- تفلحوا، فإن **البدع شر و تقود إلى الضلال و الانحراف عن الحق.**

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «و الخير الذي دلّها عليه التوحيد و جميع ما يحبه الله و يرضاه».

يعني هذه العبادة، فإن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال الظاهرة و الباطنة، ولكن هذه العبادة لا تسمى عبادة إلا إذا توّفر فيها شرطان:

الشرط الأول: الإخلاص لله -عَزَّ و جَلْ-؛ من عدم الشرك، و عدم الرياء، و عدم السمعة، و عدم العمل لأجل الدنيا، إنما العمل لله -عَزَّ و جَلْ-، نطلب من الله -عَزَّ و جَلْ- الثواب.

و الشرط الثاني: المتابعة لسنّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم-؛ فمن عمل على خلاف سنّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم- لا يُقبل منه.

ما الدليل؟

قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم-: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، «و من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد».

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «و الخير الذي دلّها عليه - أي دلَّ الأمة عليه- التوحيد، و جميع ما يحبه الله و يرضاه».

ما يحبه الله و يرضاه، من جاء به؟

الرسول ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، يقول –صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم–: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله».

قال –رحمه الله تعالى–: «والشَّر الذي حذرها منه الشرك، و جميع ما يكرهه الله و يأباه».

و قد مرَّ معنا بيان ما يتعلق بالشرك، فإن الشرك قد حرّمه الله –عَزَّ و جَلْ–، و توعَّد أصحابه الذين يموتون على الكفر أو على الشرك الأكبر الخلود في النار و عدم المغفرة لهم، و جميع ما يكرهه الله –عَزَّ وجَلْ– لا شك أنه من الشر؛ فكل أمر بيّن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم– أنه من المحرمات و أنه من الأمور التي لا يجوز للمسلم فعلها فهو شر عليهم.

و لذلك لابد أن تتيقن يا عبد الله أن الله –عز وجل– و رسوله –صلى الله عليه و سلم– إذا حرّم أمراً فإنما حرمه لما فيه من الضرر الخالص أو الضرر الراجح عليك يا عبد الله، فلا تظن أن أمراً محرّماً لك فيه خير، بل كل الشر و الشر في الأمور المحرمات، و أعظم المحرمات الشرك، و لذلك ينبغي للمسلم أن يعود نفسه على هذا الأمر، أن يعلم أن الشر في الشرك و أن الشر في الأمور المحرّمة.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: «بعثه الله إلى الناس كافة -و هذا من خصائصه -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم- أرسله الله إلى الناس كافة، إلى من كان في عصره و من بعده إلى أن تقوم الساعة».

هو رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم- لهم جميعا، فلا يأتي أحد يقول أنا لست من أمة محمد، والعلماء يقولون **أمة محمد قسمان**:

❋ **أمة دعوة:** أي الذين بلغتهم دعوته -صلى الله عليه وسلم-وإن لم يؤمنوا به، إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه.

❋ **وأمة إجابة**: وهي نحن المسلمون المؤمنون المحسنون على طبقاتنا، نحن أمة إجابة، أي استجبنا لدعوته -صلى الله عليه وسلم- فآمنَّا ودخلنا في هذا الدين.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «بعثه الله إلى الناس كافة».

أقول و أيضاً بعثه إلى الجن.

قال: «و افترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن و الإنس، و الدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾».

و هذا واضح في الدلالة.

قال: «و كمّل الله به الدين، و الدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فهذا من الله -عزّ وجل- بيان واضح و إعلامٌ بأنّ الدين قد اكتمل، و أن الله -عزّ وجل- أتمّه علينا و أنه رضي هذا الدين لهذه الأمة».

و في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ردٌ على الجماعات و على الأحزاب و على كل صاحب دعوة لا توافق دعوة النبي -صلى الله عليه و سلم-، هؤلاء يقولون نحن ندعوا الناس في هذا العصر بطريقة جديدة، لحاجة الناس فنقول لهم الله -عز و جل- يقول: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .

ما الإسلام؟

هو سنة النبي -صلى الله عليه و سلم- و هديه و طريقته وما جاء به عن الله-عزّ و جل-، فما كان يومئذ دينا فهو اليوم دين، و مالم يكن يومئذ دينا فليس اليوم بدين، فلذلك الشيطان يغوي هؤلاء، و إن سمّوا أنفسهم بالدعاة، و إن سمّوا أنفسهم بأنهم مبلغين عن الله، فإن كل من لم يسلك الطريق النبوي و الهدي النبوي و ما كان عليه سلف الأمة في الدعوة إلى الله فإنه ضل و انحرف.

و لذلك انظروا عباد الله إلى قوله -عزّ وجل- في السورة العظيمة التي نقرؤها في كل صلاة، بل في كل ركعة من كل صلاة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ (٧) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي صراط محمد -صلى الله عليه وسلم-، وما كان عليه أصحابه الكرام، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ﴾ غير طريقة اليهود، الذين علموا الحق فخالفوه وعملوا بخلافه، ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ أي النصارى الذين عملوا بأهوائهم ولم يعملوا بعلم، فتزهدوا وتقشفوا ولكن ضلوا وانحرفوا، إذ لم يعملوا بالعلم، ولذلك قال سفيان: «من ضل من علماء هذه الأمة أشبه اليهود»، لأنه عمل بخلاف ما علم، وهذه الدعوات التي تعمل بخلاف هدي النبي -صلى الله عليه وسلم -لا شك أنها أشبهت اليهود الذين عملوا بخلاف ما علموا وحرفوا وبدلوا، ومن ضل من عباد هذه الأمة أشبه النصارى الذين عبدوا الله على غير علم.

فإذًا الشيخ -رحمه الله تعالى- بين هذا الأمر بيانا واضحا، إذًا الله-عز وجل -قال ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

فاحذر يا عبد الله من طريق اليهود، ومن طريق النصارى فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد حذرنا من سلوك طريقتهم.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والدليل على موته -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، خطاب للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فهذا من الله إخبار وإعلام له -صلى الله عليه وسلم- ولنا نحن أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- بشر لن يخلد في الأرض سيموت -عليه الصلاة والسلام-، وقد مات و دفنه أصحابه -رضي الله عنهم- .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يموت، **فلا يجوز لمسلم يعتقد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حي موجود،** كما يعتقد أصحاب الموالد أنه يحضر وله الحضرة في تلك الليلة وأنه يحضر عندهم.

فلا شك أن هذا كذب وافتراء، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم-قد مات ودفن في قبره -عليه الصلاة والسلام-.

وقد بلَّغ هذا الدين وأكمله أكمل بيان -عليه الصلاة والسلام-

﴿ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: يعني سنموت وسنجازى على أعمالنا، ولذلك على العبد وعليك يا أمة الله أن تتذكرا هذا الأمر؛ أننا في هذه الحياة لن نخلد فيها، لن نعيش فيها أبدا، بل سيأتي يوم نموت فيه، والله أعلم بهذا اليوم، **فليكن كل واحد منا مستعدا لهذا اليوم وتلك الساعة،** وإذا متنا فلن نموت وينتهي الأمر، بل سنبعث ونجازى على أعمالنا، إن خيرًا فخيرا وإن شرًا فشرا.

أسأل الله -عز وجل- أن يجعلني وإياكم ممّن حسن عمله وأسأله- سبحانه وتعالى- أن يبعدنا عمن ساء عمله.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والدليل على موته -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ **(٣٠)** ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾».

فمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ أي فيما حصلت فيه المنازعة، وفيما حصل فيه الخلاف، فيفصل بينكم بحكمه العادل ويجازى كل بعمله وينتصر للمظلوم ويقتص من الظالم فإن الله –عز وجل– قال كما في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا».

قال الشيخ –رحمه الله تعالى–: «والناس إذا ماتوا يبعثون».

يعني لا يموتون فيصيرون ترابا وتنتهي المسألة، ولكن هناك البعث بعد الموت، لَمَّا ينفخ إسرافيل –عليه السلام– نفخة البعث يحيى الناس ويبعثون من قبورهم.

قال: «والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾»

فقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي من الأرض فالله –عز وجل– خلق أبانا آدم من تراب، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي في الأرض إذا متنا ندفن في هذه الأرض في القبور، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾أي من الأرض نخرجكم بعد أن صرتم ترابا﴿نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ يعني مرة أخرى، فنبعث من قبورنا ونحيا ليوم الفصل قال وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ فهذا دليل على البعث بعد الموت.

قال: «وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾»

لماذا يقول المصنف هذا الكلام أن بعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالنا؟ لماذا يقول؟!!

يقول هذا الكلام حتى نكون مستعدين لذلك اليوم، يقول هذا الكلام حتى لا يظلم بعضنا بعضا ولا يؤذي بعضنا بعضا، وأن نتَّقِي ظلم الناس، وأن نتَّقي معصية الله –عز وجل–، وأن نفعل الطاعات من واجبات وأوامر شرعية، وأن نبتعد عن المنهيات والمحرمات، لأننا محاسبون ومجزيون على كل أمر نعمله، يقول الله –عز وجل–:﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فهذا دليل على أن المرء يحاسب على جميع عمله، وأيضا قوله تعالى:﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

يقول الشيخ –رحمه الله تعالى–: «والدليل قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾».

كما سبق، ثم قال: «ومن كذب بالبعث كفر؛ لأن البعث يكون في اليوم الآخر، واليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، فمن كفر وكذب بالبعث وقال إننا لن نبعث بعد الموت فهذا كافر».

ما الدليل؟

قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، **فمن أنكر البعث وكذب به فإنه مكذب بالقرآن ومكذب بسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة،** فهؤلاء الكفار كفروا بتكذيبهم بالبعث، والله –عز وجل– ذكر لنا في مواضع في القرآن أن الكفار أنكروا البعث، ولذلك ما يعرف اليوم بحزب البعث قد أفتى الشيخ بن باز –رحمة الله عليه– وغيره من أهل العلم بأنهم كفار.

قال الشيخ –رحمه الله تعالى–: «وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين».

مبشرين بالخير والثواب، ومنذرين بالتخويف والتهديد فالله –عز وجل– أرسل الرسل –صلوات ربي وسلامه عليهم جميعا– أرسلهم مبشرين ومنذرين؛ مبشرين بالخير والثواب لمن طاع الله وبالجنة لمن وحد الله –عز وجل–، ومنذرين بالنار لمن عصاه ومن كفر أو أشرك به –سبحانه وتعالى–.

قال الشيخ –رحمه الله تعالى–: «والدليل قوله تعالى:﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾».

فالله –عز وجل– بإرسال الرسل قد قطع العذر عمن بلغته دعوة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وأما من لم تبلغه فإن الله –عز وجل– يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ وهؤلاء من أهل الفترة الذين يُمتحنون يوم القيامة، أعني الذين لم تبلغهم دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

قال -رحمه الله-: «وأولهم نوح أي أول الرسل نوح -عليه السلام- لَمَّا حدث الشرك في قومه أرسله الله -عز وجل- ليبين لقومه أن هذا شرك فينذرهم من عقوبة الشرك، ويبين لهم التوحيد»

قال: «وآخرهم محمد -صلى الله عليه وسلم-».

ما الدليل؟

قال: والدليل على أن أولهم نوح -قوله تعالى- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾.

قال: «وكل أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد -عليهما الصلاة والسلام-» أي على نوح ومحمد، وجميع الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

قال: «يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي أرسلنا في كل أمة في كل قوم رسولا، رسولا إليهم.

ماذا يقولون لهم؟ وإلى ماذا يدعونهم؟ إلى عبادة الله فقط؟ يعبدون الله فقط؟

لا؛ واجتنبوا الطاغوت، ابتعدوا عن الأصنام والآلهة والكفر، فلذلك -كما سبق- **أن الأمر بالعبادة وبالتوحيد مستلزم أيضا للنهي عن الشرك،** لابد أيضا من اجتناب الشرك، والبراءة منه.

ولا إله إلا الله: فيها إقرار للألوهية لله، وكفر بألوهية غير الله -عز وجل-.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله».

افترض: بمعنى أوجب الله -عز وجل- على جميع العباد، على جميع المسلمين، وعلى جميع الناس، أوجب عليهم الله -عز وجل- أن يكفروا بالطاغوت والإيمان به -سبحانه وتعالى-، فليس فقط أن يؤمنوا بالله، ويعتبروا هذه الطواغيت حق، وليست بكفر ولا مانع منها؛ هذا خطأ.

ما الطاغوت؟

قال الشيخ -رحمه الله-؛ مبينا معنى الطاغوت: «قال ابن القيم -رحمه الله-: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع».

فكل ما تجاوز به العبد حده من معبود مع الله -عز وجل- بأي أنواع العبادة، أو متبوع يعني مثل الذين يتبعون علماء السوء، الذين يدعون إلى الكفر

والضلال والشرك، وكذلك الكهنة والسحرة ونحو ذلك، أو مطاع يعني يطاع في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله –عز وجل– .

وهذه هي الطواغيت الثلاث التي دلت النصوص الشرعية على أن ما جاوز فيه العبد حده في معبود أو متبوع أو مطاع هو طاغوت.

ثم قال: «والطواغيت كثيرون».

يعني ليس واحد أو اثنان أو ثلاث، كل من اتّصف بهذه الصفات التي سبق ذكرها فإنه يوصف بهذا الأمر.

قال: «والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادّعى شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله».

هذه هي الطواغيت الخمسة أو رؤوس الطواغيت.

ومعنى كونها رؤوس بمعني أبرزها وأظهرها ويعني مرجعها إلى هذه الخمسة.

فإبليس وكلنا يعلم حاله، وطاغوتيته، وشره وأن الله –عز وجل– لعنه وطرده من الجنة وتوعده بالعقاب الأليم يوم القيامة فهو ملعون رجيم.

ومن عُبد وهو راض يعني الشخص الذي يعبده الناس وهو راض بذلك، بمعنى لا ينكر عليهم، ولا يتبرأ منهم بل يقرهم، فإقراره لهم يجعله من الطواغيت، لذلك الأنبياء والرسل والملائكة يتبرؤون من هؤلاء.

والثالث: من الطواغيت من دعا الناس إلى عبادة نفسه.

والفرق بين هذا والذي قبله، أن الذي قبله لا يدعوا إلى عبادة نفسه ولكن الناس من تعظيمهم له يكسبونه صفات الربوبية فيصرفون له أنواع من العبادات وهو راض فرضاه سبب في كونه طاغوتا وأما الثالث هذا فهو يدعو الناس إلى عبادة نفسه كما فعل فرعون حين دعا الناس إلى عبادة نفسه حين قال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ وأيضا من الطواغيت.

وهو الرابع: من ادّعى شيئًا من علم الغيب فإن علم الغيب خاصٌ بالله -عز وجل- ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فالله-عز وجل- هو عالم الغيب والشهادة فمن ادعى علم الغيب فلا شك أنه من الطواغيت.

والخامس: من الطواغيت من حكم بغير ما أنزل الله؛ من حكَّم القوانين الوضعية أو الجاهلية التي ليست من شرع فهو طاغوت كما قال الله -عز وجل- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ولكن هنا لا بد أن نبين أن العلماء بينوا أن الحكم بغير ما أنزل الله على قسمين:

❋ القسم الأول: كفر مخرج من الملة؛ الأول من اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله أفضل من حكم الله فهذا كفر، والصورة الثانية: من اعتقد أن حكم غير ما أنزل الله مساوٍ لحكم الله هذا كفر، من اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله جائز مثل الحكم بما أنزل الله فهذا أيضًا كفر، هذا القسم الأول.

❋ أما القسم الثاني: من حكم بغير ما أنزل الله وهو مقر بأن حكم الله هو الواجب، وأنه آثم وأن حكم الله أفضل، فهذا كفر دون كفر لا يخرج من الملة، كما قال ذلك ابن عباس -رضي الله عنهما -وعن جميع صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فالشيخ -رحمه الله تعالى- حين ذكر هذا الطاغوت الخامس وهو من حكم بغير ما أنزل الله يعني معتقدًا أن حكم غير ما أنزل الله أفضل أو مساوٍ أو جائز.

قال والدليل قوله تعالى: «﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾».

فالله -عز وجل- بين أنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، من أراد أن يسلم فليسلم ومن أراد أن يكفر فليكفر، فإن أسلم فلنفسه وإن كفر فعليها، ولكن من كفر فإنه يدعى إلى الإسلام، فإن أبى فالجزية، فإن أبى فالقتال مع ولي الأمر، ومن اختار الكفر فكفره على نفسه، يضر نفسه ولذلك الله -عز وجل-قال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الدين ظاهر، الحق واضح فلا يُكره الناس على الدخول في هذا الدين.

ونحن نرى بحمد الله أن كثيرًا من الكفار ومن أهل الكتاب يسلموا ويدخلون في هذا الدين، وهذا من الأدلة على صدق نبوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وأن رسالته من عند الله -عز وجل-.

ولكن ليس في هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أن المسلم له أن يرتد وله أن يختار النصرانية كما يقول أهل البدع والضلال، ومنهم طارق السويدان الذي يقول أن المسلم له الخيار أن يكفر.

نقول لا.

إذا أسلم ثم كفر فهو مرتد، فيقام عليه حكم الردة، ولكن إن اختار الكفر قبل أن يسلم فإننا لا نكرهه على الإسلام، وأما إن دخل في الإسلام فإن حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-واضح جدًا: «من بدل دينه فاقتلوه».

فإذًا ليس المراد بالآية لا إكراه في الدين أن من كان مسلمًا له الخيار بالكفر هذا باطل من القول.

قال: «﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي الحق من الضلال والإسلام من الكفر، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى أي استمسك بالتوحيد».

متى يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله توحيد بالله وكفر بالطاغوت؟!!

قال الشيخ رحمه الله تعالى: «وهذا هو معنى لا إله إلا الله».

ما هو هذا المشار إليه؟

الإيمان بالله والكفر بالطاغوت هو معنى لا إله إلا الله.

«لا إله» كفر بالطاغوت، «إلا الله» إيمان بالله، قال وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام»، ومعنى الحديث أن الإسلام هو رأس الدين وهو أعلاه، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: «رأس الأمر الإسلام» والإسلام كما مر معنا يقع بالشهادتين وبقية الأركان، لما ذكر الشيخ -رحمه الله تعالى- أركان الإسلام، ومرّ معنا أن الإسلام هو الاستسلام لله -عز وجل- بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص والبراءة من الشرك وأهله،فهذا هو الإسلام.

قال: «وعموده الصلاة»، أي أن الصلاة لها مكانتها، عمود هذا الدين الصلاة، ولها مكانتها، والصلوات الخمس مفروضات واجبات على المسلم أن لا يخل بها، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «بين الرجل والشرك أو الكفر ترك الصلاة»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»، فمن أنكر وجوب الصلاة فقد كفر إن كان مثله لا يجهل وجوبها، وأما من ترك الصلاة تهاونًا وتكاسلاً فلأهل السنة قولان منهم من يكفره، ومنهم من لا يحكم بكفره.

عباد الله إن مسألةً يقال فيها كفر وعدم كفر ينبغي للمرء أن يحرص كل الحرص أن يجتنب مثل هذه المسائل، فيؤدي الصلاة في أوقاتها وبأركانها وبشروطها

وواجباتها ويحافظ عليهن ولا يتكاسل عن أداء الصلاة، ولو قال بعض أهل العلم بأنه لا يكفر تاركها تهاونًا وكسلاً.

فإن الواجب على المسلم أن يحافظ على هذه الصلوات، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم - قد أخبر أن أول ما يحاسب عليه المرء من عمله الصلاة؛ فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله وإن فسدت قيل له هل من تطوع؟ إلى آخره أو كما قال عليه -الصلاة والسلام-.

فإذًا هنا الحديث يقول وعموده الصلاة قال: «وذروة سنامه - يعني أعلاه وأرفعه والسنام من البعير أعلاه فذروة سنام هذا الدين - الجهاد في سبيل الله».

وقد مر معنا بالأمس القريب ما هو الجهاد الذي يكون في سبيل الله، وأن ليس كل من ادعى أنه يجاهد في سبيل الله أنه مجاهد في سبيل الله.

وبيَّنا أن داعش والنصرة وتنظيم القاعدة وأنصار الشريعة وغيرهم من الجماعات كالسلفية الجهادية المسلحة وغيرهم من الجماعات ليسوا من الإسلام في شيء ليسوا من الجهاد الشرعي في شيء، بل هم في سبل الشيطان المتفرقة عما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- فالتكفير والتفجير والقتل للأبرياء الإسلام منه بريء.

والشيخ -رحمه الله تعالى - ختم بهذا الحديث للدلالة على أهمية الإسلام وأنه رأس هذا الدين، وللدلالة على أهمية الصلاة بأنها عمود هذا الدين وبالدلالة على أهمية الجهاد في سبيل الله وأنه ذروة سنامه.

وأيضًا إذا ذكر الشيخ الجهاد في سبيل الله فينبغي أيضًا أن نعلم أمرًا مهمًا وهو أن الجهاد في سبيل الله ليس فقط بقتال الأعداء، هناك أيضًا جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد العدو الخارجي، فينبغي أن نحرص على جهاد النفس بإلزامها بطاعة الله -عز وجل- وإبعادها عما يغضب الله -عز وجل - ويسخطها، فإن هذا من الاستعداد الذي أمرنا الله -عز وجل- به ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾، فإن الجهاد بالسلاح يحتاج قبله إلى جهاد النفس وإلى تهذيبها على طاعة الله -عز وجل - وتربيتها على ذلك وإبعادها عن الشرك والكفر والمعاصي والذنوب، إذ كيف نقاتل العدو الخارجي ولم نتغلب على العدو الداخلي.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في زاد المعاد أنواع الجهاد الأربع. فإذًا بعض الناس لا يفهم من الجهاد إلا قتال العدو، لذا تجد هؤلاء لم يجاهدوا أنفسهم على السنة، وتجدهم يقعون في الضلالات وفي المنكرات، فهؤلاء لم يفلحوا بجهاد أنفسهم فكيف يفلحوا بجهاد غيرهم وهؤلاء نراهم على البدع والضلالات وعلى الأمور المخالفة لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم -.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والله أعلم وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

ختم رسالته هذه وهي رسالة عظيمة مفيدة مهمة يحتاج إليها كل مسلم ومسلمة بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسأل الله -عز وجل -أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا، وأسأله -سبحانه وتعالى -أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وإن شاء الله -عز وجل- في اللقاء القادم ستكون هناك مراجعة كاملة للأصول الثلاثة مع ذكر بعض الأمور المتعلقة بهذه الرسالة.

أسأل الله -عز جل- لي ولكم الثبات على الحق وأن يجعلنا من أهل التوحيد والسنة الداعين إلى ذلك والذابين عنهما.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.